الإعلان تنبيهًا لكلّ من صال على القرآن من النصارى وغيرهم من أهل العدوان

قد كتبنا من غير مرة أن القرآن الكريم قد جمع التعاليم وأكمل التفهيم، وأنه مشتمل على علوم الأولين والآخرين، وهو بعُلُوِّه كأبحرٍ لا كحِياضٍ، وفاق كلَّ لُجّةٍ بذيلٍ فضفاض، وفيه نور أصفى من نور العين، ونقيٌّ من الدرن والشين. صحفٌ مطهّرة فيها كتبٌ قيّمة وحِكَمٌ مُعجِبة، مع حسنِ بيان وبلاغة ذي شأن تسرّ الناظرين. وهو إعجاز عظيم بفصاحة كلماته، وبلاغة عباراته، ورفعة معارفه، وباكورة نِكاته، ولكن النصارى وأتباعهم أنكروا هذا الكمال، ونحتوا الشكوك وزيّنوا الأقوال، وجاءوا بمكر مبين. فقال بعضهم إن القرآن فصيح ولا ننكر الفصاحة ولا نختار الوقاحة، ولكن تعليمه ليس بطيّب ونظيف، ولا يوجد فيه مِن وعظ لطيف، بل هو يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وكل ما علّم فهو سَقْطٌ كالمريض المَؤُوف، ولا يصلُح للصالحين.

أقول: كل ما هو قلتم فهو كذب صريح، ولا يقول كمثله إلا الذي هو وقيح، أو من المفترين. إنكم لا تستطلعون بعيون الصدق والسداد، ولا تسلكون إلا مسالك العناد، وما تعلمون إلا طرق الاعتساف، وما غُذِّيْتم بلبان الإنصاف، وما أراكم إلا ظالمين. أَعَرَفْتم حقيقة القرآن، مع كونكم محرومين من علم اللسان،

ومُبعَدين من سكك العرفان؟ أتظنّيتم البحر سرابًا مستورًا، مع كونكم عُميًا وعُورًا؟ لا تعلمون حرفًا من العلوم العربية، ولا تملكون فتيلا من البساتين الأدبية، بل أراكم كأخي عَيلة، الماشين في ظلام ليلة، ثم تلك الدعاوي مع مفاقر الجهل والضلال، والإنكارُ من شمس العلوم بأنواع المكائد والاحتيال، كبرٌ عظيم وفسقٌ قديم، فسبحان ربنا كيف يمهل الفاسقين!

أيها الجهلاء.. أنتم تصولون على كلامٍ قد أُودعتْ سِرَّ المعارف أَسِرَّتُه، ومأثورةٌ سُمْعتُه وشُهرتُه، ومشهورةٌ عصمتُه وطهارته، ومسلَّمٌ نِضارُه ونَضْرتُه، واشتهر تأثيره وقوّته، فلا يُنكره إلا من فسدتْ فطرتُه. ألا ترون إلى قصرٍ شادَه القرآن، وإلى علوم أكملها الفرقان، وإلى أنوارٍ أترعَ فيه الرحمن؟ ووالله لا نظيرَ له في إحياء الأموات ونفخِ الروح في العظام الرفات. جاء في وقتِ انقراضِ حيَل الصلحاء، وظهضر بعد اكفهرار الليلة الليلاء، ووجد الخَلق كمعروق العظم وأخِ العيلة، أو كنائم في الليلة، فنوّر وجهَ الناس ولا كإنارة النهار، وناوَلَهم مالاً كثيرًا مِن دُرر العلم وأنواع الأنوار. فانظر.. هل ترى مثله في تأثير؟ ثم ارجِعِ البصر.. هل ترى من نظير؟ أنسيتَ ظلمةَ أيام الإنجيل؟ أما جاءك خبر من ذلك الجيل؟ كيف كانت إحاطة الضلالات على كل زمان ومكان؟ أما لاحظتَ أو ما سمعتَ مِن ذي عرفان؟ كأنهم كانوا انحطّوا إلى اللحد، ونكثوا كل ما عاهدوا من العهد، وأكلتْهم ضلالاتهم كمَيتٍ أكلتْه الدودُ، ورُمَّ

إيمانُهم كمثل ما يُنخَر العود. أما قرأتَ أحوال تلك الأزمان؟ ألست تذكرها وعيناك تهملان؟ فأيّ شيء نَوَّرَ الزمنَ بعد الظلام، وذكّر اللهَ بعد ذكر الأصنام، وجاء بشربٍ من تسنيم بعد حميمٍ داعٍ إلى الحِمام؟ فاعلم أنه هو القرآن المبارك الذي نجّى الخَلق من موت الاجترام، وأنشر الأمواتَ من الرِّجام، وأنـــزل الجَود بعد أيام الجَهام. فمن هنا نفهَم وجوهَ ضرورة القرآن ومنافعه لنوع الإنسان. وإن كنتَ لا تترك الإدلال بإنجيلك والاغترارَ بصحّة عليلك، ولا تتوب من أقاويلك، فها أنا أدعوك للنضال، وللتفريق بين الهدي والضلال، مستعيذًا بالله من شرّ الدجّال؛ فهل لك أن تتصدّى لهذا المضمار، ليتبدّى حقيقةُ الأسرار؟ إنّك تريد أن تُقوِّض مجد القرآن وبنيانه، ونريد أن نُمزِّق الإنجيل ونُريك أدرانه، ووالله إنّا من الصادقين، ولسنا من الكاذبين المزوِّرين. ووالله إن إنجيلكم الموجود غبار وتباب ودمار، وليس بمُعلِّمِ الحكمة بل سامرٌ ومِهْذار، فتنـــزيهُه ومدحُه عارٌ، وجُرْحه جُبار. وإنّا لا نجد فيه خيرًا، بل شرًّا وضيرًا، ونعوذ بالله من شرّه وكمال ضرّه، ونحولقُ على غفل المادحين. كتابٌ مُضِلٌّ يدعو الناس إلى المحظورات بل المهلكات، ويفتح عليهم أبواب الهنات والسيئات والإباحات وعبادة الأموات، ويجعلهم من المشركين. وأشأَمَ في بعض المقالات، وأيمنَ في الأخرى، وما تمالكَ أن يقصد في مشيه ويختار وسطًا كذوي النهى، ولأجل ذلك طعنوا فيه فلاسفةُ القوم، ووخَزوه بأسنّة اللوم، وقالوا لا حاجة

إلى ردّه، فإنه كاف لرَدِّ نفسه، ونراهم قائمين على فَوهتهم، وهم من النصارى ومن أكابر عصبتهم، بل من حكمائهم لا كمثل هؤلاء من جهلتهم، وتجد كثيرا منهم مُلبِّين داعيَ الإسلام أفضلَ الرسل وخيرَ الأنام وخاتمَ النبيين.

فيا أيها الأعداء من النصارى وفي الشرك كالأسارى، لم تتكلمون كالسكارى، وتلبسون الحق بالباطل وتهربون من الذي بارى؟ بارزوا للنضال إن كنتم من أهل الكمال ومن الصادقين. واعلموا أن تحقيقَ الحق من كرم الطبع، والصولَ من غير حق من سيَر السبُع، فعَدُّوا عن اللذع والقذع، وهلمّوا إلى التناضل والثَّلْع. ونحن نُحكِّم بعضَ حُكمائكم في هذا الأمر، ونعاهد الله أنّا نقبل كل ما حكموا من غير العذر. فهل لكم أن تُبرزوا لنا تعاليم الإنجيل، وكل ما هو فيه من لطائف الأقاويل؟ وكذلك نكتب لكم معارف القرآن ودقائق صحف الله الرحمن، فيَزِنَهما الحَكَمُ بميزان العقل والدهاء، ويحكم بين الخصماء، فإن كنا نحن المغلوبين، فنقبل لأنفسنا أن نُعذَّب كالمجرمين، ونُقتَل كالفاسقين الكاذبين؛ وإن كنّا من الغالبين، فلا نطلب من المتنصرين إلا أن يكونوا من المسلمين.

فيا عدوَّ الحق.. إنك مدحتَ الإنجيل فهَرَفْتَ، ونَحَتَّ الفرْيةَ فأغربتَ وأطرفتَ، فهل بعد الدعاوي فرار، وبعد الإقرار إنكار؟ فأين تفرّ وقد جاء وقت افتضاحك، فلا تستر وجهك بوِشاحك،

ولك من الورق ألفين◉، إن كنتَ تُثبتُ فضل الإنجيل بغير المَيْن. وأنَّى لك هذا يا رئيسَ المزوِّرين؟

أيها النصارى.. ما تنصّرتم لتنوير العين، بل لجَمْعِ العَينِ وجذبات الأَجْوَفَينِ، وتركتم تكاليف الصلاح لمطائب الجِفان ولذّاتِ الراح، وتمدحون في قلوبكم مَربَعَ اللذّات لا تعليم عيسى وطريق النجاة، وتستوكفون الأكُفَّ بذمّ الطيّبين، ليرشح على يدكم إناءُ قسيسين.

ويلكم! إنكم تركتم مَن عَظُمَ وجَلَّ، وأعرضتم عن الوَبْل واستسقيتم الطَلَّ، وما فكّرتم في عيسى وصرفتم العمر بعسى ولعلّ. أَرُوني كتابا تعلقتم بأهدابه، أو اسمعوا مني محاسنَ الفرقان ونُخَبَ عُجابه، وتوبوا من ذكر محاسن الإنجيل ولطائف آدابه. أهو يشابه الفرقانَ في بيان النكات، أو يتحاذى في الدرجات، أو يتوازن في دقائق الكلمات؟ كلا.. إن القرآن قد انفرد في كمال الصفات ومعارف الإلهيات، وإراءةِ الوسط الذي هو من أعظم الحسنات. فما للبدر التام وجُنْحِ الظلام؟ أتعظّمون الكتاب الذي مملوء من المنكرات، وجاز عن القصد ودعا إلى السيئات؟ أاغتررتم بزخرفة محاله، ومدحتموه قبل اختبار حاله؟ مع أنكم رأيتم أنه لا يُعلِّم طرق الكمالات، ولا سُبل المجاهدات الموصلة إلى رب الكائنات، ولا يُفصِّل أحكام الربّ ولا يُرغِّب في العبادات، بل يدعو الناس إلى التنعم والراح والراحة، وينهَب حرارةَ الإيمان ويغادر بيتهم أنقى من

◉ سهو، والصحيح: "ألفان". (الناشر)

الراحة. فاذكروا الموتَ أيّها الغافلون، وشمّروا أيها المقصّرون، وحقّقوا ولا تتبعوا الظنون، وتدبّروا وأمعنوا كأهل الأنظار، ولا تخالسوا كتخالُس الطَّرّار، وقُوموا واسمعوا قول من جاء من حضرة الغفّار، ولا تنصلتوا انصلات الفرار، ولا تُؤْثِروا حَرَّ الظهيرة على بَرْدِ الصبح وسير الحديقة وأكل الثمار. قوموا لاستثمار السعادة، وأْتوني بصدق الإرادة، واعلموا أن الله يعلم ما تأتمرون وما تُظهرون وما تتخافتون، وقد غمرتكم مواهبه في الدنيا فلِم تنسون الآخرة كالمتمرّدين؟

أتخيّرتم الدنيا وما هي إلا دار فانية، وعجوزة زانية، وسترجعون إلى الله ربّ العالمين، فتفارقون شهواتكم كمفارقة القشر للبِّ، وتُحرَقون بنار الحسرة والجَبّ، وتدخلون في غيابة الجُبّ مخذولين. وما كتبتُ إلا لاستبراء زَنْدكم واستشفافِ فِرنْدكم، لأكشف ما التبسَ على الناس، وأُنجّي الخَلق من الوسواسِ الخنّاس. فانـــزِعوا عن الغيّ، وارجِعوا مَنْشَرَكم إلى الطيّ، فإن العاقل يقبل الحق ولا يتأخّر كمن عصى، ولا يحتاج إلى العصا. أتريدون أن تُمسكوا رمق الإنجيل، وقد مزّقه سيفُ الله الجليل؟ فلا تُعرضوا كالضنين البخيل، ولا تعثوا في الأرض مفسدين. أتريدون أن ترفعوا ما هوى، وترقعوا ما مزّق الله وأوهى؟ فلا تحاربوا الله كالمجانين، وغلِّسوا في صباح الله وبادِروا إلى الحق كأهل الصلاح وكالعباد السابقين. وادخُلوا البستان واتركوا النيران، وانظروا الرَّوحَ والريحان، واقتطِفوا واتّقوا

الشوكَ والشيطان. إنكم لا تُمهَلون كما لم تمهَلوا★ آباؤكم، فلِمَ قست قلوبكم، وطاغت أهواؤكم؟ وسينصر الله عبده ودينه، ولن تضرّوه شيئا، ولن تستطيعوا أن تطفئوا نور الله ولو مِتُّمْ جهدًا وسعيا. وهذا آخر كلامنا وخاتمة جولان أقلامنا، وكفاك إن كنت من أهل التقاة ومن الطالبين. والحمد لله أوّلاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وهو نِعم المولى ونعم النصير.

★ سهو، والصحيح: "يُمهَلوا" . (الناشر)